المحاضرة الأولى: تاريخ الأدب المغاربي المكتوب باللغة الأجنبية

1- سبب الظهور:

إن سياق الظهور مهم للغاية لفهم خصوصية الأدب الناطق بالفرنسية الذي كتب في منطقة شمال أفريقيا، إذ لابد من وضعه في سياق ظهوره السياسي والثقافي والفكري. لا يمكننا أن نقترب من الأدب المغاربي بتجاهل لغة الكتابة. لأن كتاب شمال أفريقيا الناطقين بالفرنسية – الجزائريين أولا ثم المغاربة والتونسيين – اضطروا إلى مواجهة وضع متناقض: التعبير عن فكرهم بلغة المستعمر وعدم القدرة على "تحرير" أنفسهم من هذه اللغة لأنها أصبحت لغتهم التي يعبرون بها عن كل ما حولهم من تناقضات فرضها الاستعمار.

يُعد هذا الأدب جزءًا من سياق اجتماعي وتاريخي واستعماري مضطرب في بدايته ككلمة حاسمة للكتاب الذين أطلق عليهم "الكتاب السكان الأصليون" الذين يجب عليهم مواجهة الخطاب الأيديولوجي الذي ينقله الأدب الاستعماري.

لقد ولدت جل الأعمال الإبداعية فيما يعرف بـ "اليقظة المضادة" لبعض أعمال الأدب الفرنسي الصادرة عن كتاب فرنسيين من شمال إفريقيا. ويمكن أيضًا أن يُفهم على أنه خطاب موجه ضد خطاب آخر، حيث يستعير كلمات الآخر ليعيدها إليه في عمل من أعمال الإدانة وتأكيد الذات.

2- تعريفه:

إذا كان الأدب يعتبر أحد الألوان التعبيرية والإنسانية عن أفكار الإنسان وعواطفه ومخاوفه وكل نزعاته النفسية والوجدانية، فإن الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية لا يختلف عن هذا التعريف أبدا. فهو كل نتاج أدبي سواء كان شعرا أو نثرا أو مسرحا أو نصوصا تم اقتباسها لتكون أفلاما سينمائية كتبت باللغة الفرنسية أنتج على يد الكتاب الذين يصطلح عليهم السكان الأصليون للمغرب العربي إبان حقبة الاستعمار الفرنسي، أو بعد الاستقلال في كل من الجزائر والمغرب وتونس، بحيث كان في بادئ الأمر وسيلة مقاومة من أجل التعبير عن الهموم التي تحملها تلك

الشعوب المستعمرة الطامحة آنذاك إلى التحرر والاستقلال. فكان هذا النتاج الأدبي بمثابة رسائل حاسمة وذات رمزية ثقيلة تجاه وجود المستعمر، إلا أن فترة ما بعد الاستقلال كانت الفترة الأكثر اسهاما في تطور هذا الأدب من خلال المواضيع التي تتم معالجتها.

3- نشأة وتطور الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية

تعود نشأة الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية تقريبا بين الفترة الزمنية الممتدة من 1945 إلى 1950 في بلدان المغرب العربي، بحيث أصبح هذا الأدب منذ ذلك الحين شكلا من أشكال الأدب القائم بذاته، ويأتي ظهور الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية في سياق السياسات اللغوية للسلطة الاستعمارية التي حاربت بكل قوتها اللغة العربية والهوية الإسلامية لمنطقة المغرب العربي من جهة أخرى.

لقد كانت العلاقة بين اللغة الفرنسية واختيار استخدامها من منظور أدبي مصدر نقاش للكتاب المغاربة، فمثلا كاتب ياسين يعتبر اللغة الفرنسية " غنيمة حرب "ورشيد بوجدرة الذي كتب أعماله باللغة العربية بعد أن بدأ مشواره الأدبي بالكتابة باللغة الفرنسية.

أ. نشأة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

لقد كان الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية نتيجة حتمية لممارسات الاحتلال الفرنسي للجزائر طيلة المدة الممتدة من1831 إلى 1962كجزء من سياق اجتماعي وتاريخي وثقافي خاص حدد ظهوره الرغبة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، في الواقع كانت السلطات الفرنسية هي مصدر تطور اللغة الفرنسية لدى أدباء الجزائر الذين استخدموها لاحقًا في شجب هذا الاحتلال، والتصدي له من خلال النصوص الأدبية.

الإضافة إلى ذلك ،فإن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ولد بين أحضان أدباء درسوا في المدرسة الفرنسية خلال فترة الاستعمار، هذا الذي أكسبهم الدراية الكاملة باللغة الفرنسية كتابة ونطقا، عندما برز الأدب المكتوب بالفرنسَّية في الجزائر بعد الحْرب العالمية الثانية، كان يحمل هم الشعب الجزائري الذي تعب من الاحتلال والطامح أيضا إلى التحرر من أجل حياة كريمة، فكان رسالةً إلى الطَّبقة المثقَّفة والساحة الفرنسَّية نفسها لتدرك معاناةَ هذا الشعب، ومن جهة أخرى يرى أحمد منور أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو إضافة للأدبين الجزائري والفرنسي على السواء، ودم جديد أضاف لكليهما جدة وحيوية وشباباً، وأعطاهما تجربة غنية وشديدة الثراء، أماُ هويته فهي عربية بروح كتَّابها ومشاعرهم وبالموضوعات التي تدور حولها أعمالهم، بل حتى بأسلوب تعبيرهم الذي

يستمدونه بشكل مقصود أو لا شعوريا من لغتهم وثقافتهم الأصلية، وهي من جهة أخرىُ هوَّية فرنسية بحكم اللغة التيُ كتب بها، ويكفي أن يُترجم هذا الأدب إلى اللغة العربية ليعود إلى أصله، ويكتسب هويته العربية الإسلامية كاملة.

ب. الأدب التونسي المكتوب باللغة الفرنسية:

برز الأدب التونسي الناطق باللغة الفرنسية كمجال بحث جديد يثير اهتمام النقاد التونسيين والمجتمع الدولي الناطق بالفرنسية على حد السواء، فقد قام الأدباء التونسيون بفتح الأدب التونسي على ثقافات وأدبان متعددة، مثل ألبير ميمي المولود عام 1920 لأب يهودي إيطالي وأم تونسية من نفس المذهب.

لقد أعطى الأدب التونسي المكتوب باللغة الفرنسية والذي ولد من رحم الفترة الاستعمارية اللغة الفرنسية اللون السياسي في ذلك الوقت مسخرا اياها لمحاربة الفكر الاستعماري أو دعمه، ومع ذلك كانت ولا تزال مكانة اللغة الفرنسية وتاريخها في تونس متغلغلة في جذور الثقافة التونسية.
لقد كانت فترة ما بعد الاستعمار، فترة ارتبط فيها إحياء الأدب التونسي ارتباطًا وثيقًا بالحياة السياسية وبالتغيرات التي أثرت على مؤسساتها، كما ساهم إنشاء العديد من دور النشر التونسية ذات التوزيع الدولي على عبور الحدود وخلق حوار بين مختلف الثقافات، حيث نشر العديد من المؤلفين التونسيين المعروفين في فرنسا وحاول آخرون النشر في تونس.

ج. الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية:

الأدب المغربي الناطق بالفرنسية هو نتيجة لاستعمار المغرب من قبل فرنسا (1912-1956) فقد عكست الرواية المغربية الناطقة بالفرنسية الواقع الاجتماعي والثقافي للبلد في ظل الاستعمار الفرنسي، مع الحفاظ على توافقها والقواعد الكلاسيكية للرواية الفرنسية للقرن التاسع عشر، ولا سيما فيما يتعلق بالتسلسل الزمني للأحداث، وكذا تسليط الضوء على التجربة الشخصية للمؤلف، ومن هذا المنطلق فضل الروائيون المغاربة استعمال اللغة الفرنسية كوسيلة للتعبير فقط ، وكذا لسرد قصة مبنية على الواقع، ومع مراعاة رواية القصص وفق عناصر مهمة كالثقافة والتقاليد، وبعد الاستقلال، ازداد عدد الكتاب المغاربة الناطقين بالفرنسية بزيادة تميزهم الأدبي من خلال كتاباتهم على شاكلة الأدباء القدامى من جهة، ومواجهتهم لمشكلة الهوية وثنائية الثقافة بين كل من اللغة العربية واللغة الفرنسية، بين المغرب العربي والغرب، بين التقليد والتجديد.

4- **أهم رواد الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية:**

أ .الجزائـــر:

- مولود فرعون :ولد في 8مارس 1913م في تيزي وزو من عائلة فقيرة. التحق بالمدرسة الابتدائية في تيزي وزو بقرية تاوريرت موسى المجاورة، فكان يقطع مسافة طويلة إلى مدرسته في ظروف صعبة ولكن مثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه تحت ضغط الاستعمار الفرنسي جعله من التلاميذ النجباء، ثم التحق بالثانوية بتيزي وزو أولاً وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة.
- كاتب ياسين :ولد بدائرة زيغود يوسف ولاية قسنطينة في 6أوت 1929بعد فترة قصيرة تردد أثناءها على المدرسة القرآنية بسدراتة (سوق أهراس)، التحق بالمدرسة الفرنسية بـ: بوقاعة ولاية سطيف سنة 1935إلى غاية سنة 1941حيث بدأ تعليمه الثانوي بسطيف حتى الثامن من شير ماي 1945شارك في مظاهرات 8ماي ،1945وقبض عليه بعد 5خمسة أيام ببوقاعة فسجن وعمره لا يتجاوز 16سنة، وكان لذلك أبعد الأثر في كتاباته. بعدها بعام فقط نشر مجموعته الشعرية الأولى " مناجاة "، ثم دخل عالم الصحافة عام 1948فنشر بجريدة الجزائر الجمهورية (ألجي ريبيبليكان) التي أسسها رفقة ألبير كامو، وبعد أن انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري قام برحلة إلى الاتحاد السوفياتي ثم إلى فرنسا عام 1951.قبل وفاته تقلد عدة مناصب، منها منصب مدير المسرح بسيدي بلعباس غرب الجزائر.
- مولود معمري :روائي وباحث أمازيغي جزائري في اللسانيات الأمازيغية، ولد في 28ديسمبر 1917بتاويرت ن ميمون في آيت يني (القبائل الكبرى)، انتقل في الثانية عشرة من عمره إلى مدينة الرباط للدراسة التي واصلها في لجزائر ثم في باريس. مارسِ مهنة التعليم ابتداء من سنة 1947في المدية وفي جامعة الجزائر. 1962كان أول رئيس ل اتحاد الكتاب الجزائريين سنة 1963.

ب. تونـــــس:

- ألبير ميمي :ولد ألبير ميمي عام 1921في حي "حارة" اليهودي بالعاصمة التونسية خلال فترة الحماية الفرنسية في كنف عائلة يهودية متواضعة. وهو ينحدر من أب ايطالي يهودي وأم تونسية يهودية من أصول أمازيغية وتلقى تعليمه بالمدرسة الفرنسية وحصل عمى شهادة الباكالوريا في الفلسفة عام 1939ثم واصل تكوينه في جامعة الجزائر. انتقل الى باريس عام 1956غداة استقلال تونس عن الاستعمار الفرنسي واشتغل استاذا في عمم الاجتماع في الجامعات الفرنسية وكانت لو أيضا تجربة في التدريس في الجامعات الأمريكية في السبعينيات من القرن الماضي.
- عبد الوهاب المؤدب :نشأ عبد الوهاب المؤدب في عائلة تقليدية، محافظة ودينية. بدأ في تعمم القرآن الكريم تحت سلطة والده في سن الرابعة، والتحق بالمدرسة الفرنسية العربية في تونس بعد عامين، في مرفق معيد الصادقية المخصصة للتعليم الابتدائي. من سن الأربعة عشر، كان لديه شغف لقراءة كلاسيكيات الأدب الفرنسي. بعد ثلاث سنوات في جامعة تونس، في سن السادسة بدأ تعليمه ثنائي اللغة في المدرسة الفرنسية العربية التي كانت جزًءا من المدرسة الصادقية الشهيرة. وهكذا بدأ مسار فكري يغذيه في مرحلة المراهقة كلاسيكيات الآداب العربية والفرنسية والأوروبية.
- فوزية الزواريُ :ولدت فوزية الزواري في مدينة الدهماني والتي تبعد حوالي 31كم إلى الجنوب الشرقي من ولاية الكاف في شمال غرب تونس، حيُ ث نشأت في عائمةُ مكونة من ست أخوات وأربع إخوة. درست في جامعة تونس ثم انتقمت إلى باريس.، وحصلت فوزية على درجة الدكتوراه في الأدب الفرنسيَ والأدب الُمقارن من جامعة السوربون، وهى تُقيم في باريس منُذ 1979حيُ ث عملت لمدة عشر سنوات في معهد العالم العربي، كما عملت رئيس تحرير لمجلة القنطرة، وفي عام 1996عممت كصحفية في مجلة جون أفريك.

ج. المملكة المغربية:

- ادريس الشرايبي :ولد في 15يوليو 1926م، الجديدة –توفي في 1أبريل 2007م، كاتب مغربي معاصر، من أشهر رواد الأدب الفرنكفوني المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية.
- عبد الكبير خطيبي :روائي مغربي وعالم اجتماع، وأخصائي بالأدب المغاربي. ولد بمدينة الجديدة المغربية سنة ،1938وتوفي في الساعات الأولى من صباح يوم الإثنين 16مارس 2009 في أحد المستشفيات بالرباط، عن عمر يناهز 71عاما، بعد معاناة مع المرض.
- الطاهر بن جلون :ولد في 1ديسمبر 1944فاس، كاتب فرنسي من أصول مغربية. ينتمي إلى الجيل الثاني من الكتاب المغاربة الذين يكتبون باللغة الفرنسية وله إصدارات كثيرة في الشعر والرواية والقصة، وتتميز أعماله بالطابع الفولكلوري والعجائبي. هو حاصل على جائزة غونكور الفرنسية عن رواية " ليلة القدر"